دراسة تحليلية

بقلم الأديب المحقق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

يعلم الله قدر سعادتى حين عهدت إلىّ لجنة نشر المؤلفات التيمورية أن أجول جولة فى كتاب « أعلام الفكر الإسلامى فى العصر الحديث » للمغفور له العلامة المحقق أحمد تيمور باشا ، وأن أخرج من هذه الجولة بكلمة أصدر بها هذا الكتاب . والحق أن كتب تيمور باشا ورسائله الجليلة غنية عن التقديم لها ، والتعريف بها ، فإن اسم هذا العالم الكبير ضمان للجودة فى التصنيف والدقة فى التأليف .

فالتأليف — عندى وكما كابدته — أمانة لايحملها إلا أمين ، وليس التأليف — كما يزعم الفارغون — تسويد صفحات تسود منها الوجوه ، أو تحرير كلمات لاتحمل من أمانة العلم ما يليق بجلال رسالته ، وجمال بضاعته .

ولقد عشت مع القدر المطبوع الذى وصل إلىّ من كتاب أعلام الفكر الإسلامى ساعات بل أياما سعيدة ، فقد نقلنى مؤلفه العظيم ـ عليه رحمة الله ورضوانه ـ إلى القرن الثالث عشر الهجرى ، وأبعد فى النقلة إلى مطالع ذلك القرن ، حيث عاش سنوات منه أمثال الشيخ حسن العطار ومحمد صنع الله الخالدى . وكمال الدين الغزى ، وسليمان الموصلى ، وعلى السويدى البغدادى الأديب المحدث المؤرخ ، وغيرهم من عشرات العلماء الذين كانوا منارات علم أو أعلام

هداية ، وأساطين فكرة ، ودعامات نهضة . وامتد البحث به رحمه الله إلى حفنة من رجال القرن الثانى عشر .

ولم يختص أحمد تيمور باشا بالترجمة والسيرة للرجال قطراً عربيا دون قطر . بل نظر إلى العروبة فى إطارها الواسع ، وفى محيطها الشامل ، فترجم لأعلام من أهل المغرب والمشرق على السواء ، وراح إلى إفريقية يترجم لحفنة كريمة من أعلام تونس والجزائر والمغرب . . وبهذا استوى عنده فى العروبة القريب والبعيد ، والحضرمى والسكرخى ، والأسيوى والإفريقى .

ولم يؤثر — رحمه الله — أهل طبقة واحدة ، ولا صناعة واحدة . فلم يجعل كتابه وقفاً على تراجم الشعراء ، وسير الأدباء ، بل وسع فيه المجال للعلماء والفقهاء ، واللغويين ، والمفسرين ، والمحدثين ، ورجال التصوف ، ورجال الإصلاح ، وزعماء الجهاد ، وخطباء الثورات ، فجاء بذلك سجلا حافلا ، وباقة متنوعة الأزهار ، وإن كان لم يبلغ فى عدد المترجم لهم مابلغ مثل كتاب « حلية البشر ، فى تاريخ القرن الثالث عشر » الذى ألفه المرحوم الشيخ عبد الرازق البيطار وأصدره مجمع اللغة العربية فى دمشق فى ثلاثة أجزاء ضخام سنة ١٩٦٣ م . فقد زادت التراجم هنا على سبعمائة ترجمة وسيرة ، على حين قلّت فى كتاب أحمد تيمور باشا عن مئة . ولا يدل هذا على جدب فى الأرض ، أو عقم فى الروض ، ولكن علامتنا الراحل تخير من تلك الكثرة الكاثرة من أعلام القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، من رأى فى الترجمة لهم وفاء بحق ، أو إيضاحاً لمذهب ، أو إيثاراً بذكر ، فكان

شأنه فى ذلك شأن من دخل الرياض فتحير فيها ، أيجنى ورودها أم يجنى أقاحها

على أن كتاب أحمد تيمور باشا قد أسعفنا فى تراجم الرجال بمن يعز علينا أن نجدهم فى مصدر آخر ، فقد كتب عن العلامة الشيخ طاهر الجزائرى الذى مات سنة ١٣٣٨ بعد وفاة الشيخ عبد الرازق البيطار فلم يترجم له فى موسوعته ، وكتب عن الشيخ مصطفى المغربى الدرغوثى — لا التهامى كما وضع خطأ فى رأس صفحة ٢٣٦ — وهو والد أستاذنا العلامة الجليل المرحوم الشيخ عبد القادر المغربى عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ومجمع اللغة العربية بمصر . وقد أنصف تيمور باشا بالترجمة للشيخ مصطفى المغربى نقلا عن الترجمة التى ألفها ولده الشيخ عبد القادر ، فإن صاحب حلية البشر — على كمال فضله — لم يترجم للشيخ مصطفى المغربى ولم يفسح له مكانا بين مئات الأعلام التى ترجم لها فى القرن الثالث عشر ، فشاء الله أن يسد تيمور باشا هذه الثغرة فى كتابه هذا الذى نقدمه لك ، وأن يستدرك النسيان ، الذى هو من آفات الإنسان . . .

وأود أن أذكر هنا أمراً ، وأذيع سراً يسر له المشتغلون بتحقيق الكتب وآثار الأعلام . فإن عنوان هذا الكتاب الذى نقدمه لك لم يكن للمرحوم أحمد تيمور باشا يد فى اختياره ، ولا أثر فى إيثاره ، ولعله - رحمه الله - لم يكن يخطر على باله أن يكون هذا العنوان عنواناً على تراجمه وأعلامه التى آثرها بالترجمة لها . فالكتاب كله لتيمور ، والعنوان ليس له ، ولكن اللجنة اختارته له ، بعد أن وجدت هذه التراجم بلا عنوان ، أو لعل هذا الاسم المستحدث يكون

أقرب إلى مراد علامتنا الراحل ، وأدنى إلى غرضه . . .

إن هذا الكتاب ليس من سبيل كتب التراجم لرجال القرون ، كما فعل ابن حجر فى « الدرر الكامنة » والسخاوى فى « الضوء اللامع » لرجال القرن التاسع ، والغزى فى « الكواكب السائرة » لرجال المائة العاشرة ، والمحبى فى « خلاصة الأثر » لرجال القرن الحادى عشر ، والمرادى فى « سلك الدرر » لرجال القرن الثانى عشر ، وعبد الرازق البيطار فى « حلية البشر » لرجال القرن الثالث عشر . لا ! ليس هذا من ذاك ، ولكنه كتاب جرى فيه مؤلفه — رحمه الله — على اختيار طائفة من أعيان القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، كما فعل مؤرخنا جرجى زيدان فى « تراجم مشاهير الشرق » وحسن السندوبى فى « أعيان البيان » وكما وفقنى الله أن أفعل فى كتاب « أعلام من الشرق الغرب » الذى شرفنى الأساتذة خير الدين الزركلى ، وعمر رضا كحاله ويوسف داغر بأن جعلوه من مصادرهم لكتبهم العظيمة فى التراجم والأعلام

وإذا كان مؤرخنا جرجى زيدان ، وعلامتنا عبد الرازق البيطار قد فسحا المكان فى كتابيهما لبعض العناصر النسوية الجديرة بالترجمة فى نظريهما ، فإن علامتنا أحمد تيمور باشا قد قصر الباب فى أعلامه على الرجال . . ولو شاء لوجد متسعا من الترجمة لأخته السيدة عائشة التيمورية ، ولباحثة البادية ملك حفنى ناصف ، كما وجد الشيخ عبد الرازق البيطار متسعا فى « حليته » للترجمة مثلا للسيدة رقية بنت إبراهيم السعدى والزاهدة الصوامة ، والعابدة القوامة ! ولكن تيمور باشا كان ينتقى الأعلام ممن يمثلون الفكر العربى الإسلامى فى عصرهم أصدق تمثيل .

وأحمد تيمور سلفى حتى فى طريقة ضبطه للأعلام والأماكن ، فهو يلجأ إلى الضبط بالحروف والكلمات لا بالشكل . فهو حين يترجم للشيخ أحمد مفتاح يذكر نسبته إلى عمار ثم يضبطها هكذا : (بضم العين المهملة وتخفيف الميم) ص ١٦٩ ، وكذلك يفعل حين تذكر القرى والبلدان الصغيرة ، فإنه ينسبها إلى ألويتها أو مديرياتها ، كما فعل حين تحدث عن الشيخ محمد الأشمونى فذكر أن (أصله من أشمون جريس قرية من أعمال المنوفية) ص ٤١ . وقد جرى فى الأغلب على هذه الطريقة الواضحة الموضحة ، وإن كان تركها فى أحوال نادرة كما فعل فى قرية « سفط القطايا » ص ١٠٢ ، فإنه تركها بدون تعريف أو إلحاق بإقليم من الأقاليم . .

ولقد عول تيمور باشا فى الترجمة لهؤلاء الأعلام على المصادر التى يمكن أن يعول عليها أو يستند إليها محقق . فرجع إلى الكتب مابين مخطوط ومطبوع وما بين عربى وعجمى ، ورجع إلى أناس يسألهم أو يستمع منهم ، فيقول : بلغنى كذا ، أو حدثنى فلان بكذا كما فى صفحتى ٧٥ ، ٧٧ ، ورجع إلى بعض المترجم لهم ممن أدركهم[1] وهو فى هذه الحالة الثالثة يكتب عن معاينة وعن صلة وتجربة . لكن « المعاصرة » لم تحل دون صاحبنا ودون كلمة الحق والإنصاف . فما كان يحكم عن هوى ، ولا يصدر فى الرأى عن تعصب ، ولا تميل به دواعى الحب والكراهية إلى إيثار الصديق ، وغمط الحقوق . . .

---

(١) هناك تراجم لم يكتبها أحمد تيمور بقلمه ، ولكنه طلب كتابتها من بعض أقارب المترجم لهم . كترجمة الشيخ أحمد الفحاوى ، فقد طلب كتابتها من ولده محمد عارف المدرس بمدرسة الهندسة المصرية .

فى ترجمته للشيخ الأديب أحمد أبى الفرج الدمنهورى قال ما للرجل وما عليه فى عفة وأدب وقصد فى الكلام ، وبعد عن الإيلام ، وحسبك هذه الصورة الطريفة بقلم أحمد تيمور للشيخ الدمنهورى حيث قال :

(وكان اجتماعى به فى مجلس أحد الأعيان ، وأنا شاب يافع متعلق بالأدب وأهله . ولم أكن قد لقيته من قبل ، بل كنت أسمع به ، وأشتاق إلى رؤيته . فرأيت عجباً . رأيت شيخا قصيرا دميم الوجه قد ذهبت إحدى عينيه ، عليه جبة واسعة الأكمام ، وهو جالس فى زاوية من المكان ، يملى على شخص حسن الخط ، دالية من الطويل ـ يعنى تيمور باشا قصيدة دالية من البحر الطويل ـ منصوبة الروى جعلها تهنئة للخديو توفيق بقدومه من الأسكندرية ، وكان منه من الوقوف عند كل بيت والإعجاب به على ما تقدم ذكره ، ما نبهنى للالتفات إليه ، ثم مر بيت قافية لفظه « ومعضدا » فوثب من مكانه ونبه الحاضرين إلى أنها تورية باسم الخليفة المعتضد بالله ، فلم يوافقوه ، فأعرض عنهم ، وأقبل على الكاتب يشرح له حسن هذه التورية ! وأنها لم تتهيأ له إلا بعد إعمال الفكر والروية ! حتى أضجره ورمى الدرج من يده ! فغلبنى الضحك واستظرفته .. !!)

ومثل هذه الحوادث الشخصية غير قليل فى تراجم أحمد تيمور . ففى ترجمته للشيخ حسن الطويل يذكر لنا كيف اجتمع به ، وكيف قرأ عليه ، وكيف كان على حيرة من الأمر فى بعض البدع التى التصقت بالدين ، والخرافات التى نسبت ظلما إليه ، إلى أن هداه الله إلى التعرف على الشيخ . فصحح له

العقيدة ، وجعله على بينة من أمر دينه . ونفى له من الخزعبلات مالصق به . ولا يكتفى مؤرخنا العظيم بهذا بل يذكر فى خلال الترجمة مايشبه المذكرات اليومية ، ولا يتحرج من التصريح بأنه جلس مع الشيخ حسن فى صحن الدار يلعبان الشطرنج (وكان الشيخ مولعاً به مع قلة إجادته فيه . .) .

ولقد أجاد تيمور باشا تصوير الرجال الذين ترجم لهم على صلة بهم . وتمتاز صوره فى هذا الباب بالدقة التامة حتى لايكاد يخطىء عينه النافذه شىء من ملامح الصورة ودقائقها ، ثم يزيد هذه الصورة طرافة وإشراقا بالتعبير الدقيق الجميل ، وأسألك بالله وبالأدب الرفيع أيها القارىء الكريم أن تقول لى رأيك فى هذه الصورة لأديب مفتون بشعره يقول فيها أحمد تيمور : (وكان على قلة إجادته فى شعره مفتوناً به ، مبالغاً فى تقريظه وقت إنشاده . يمزج ذلك بإشارات وحركات تستظرف منه ، ولا يكاد يقر لأحد بالتقدم عليه فى النظم ، ولعمرى لا أرى عبارة تفى بوصفه ووصف حركاته عند الإنشاد ، وقيامه وقعوده ، والتفاته واستدعائه الحاضرين إلى استماعه . فإنه كان إذا أراد إنشاد قصيدة من نظمه بدأ أولا بتقريظها ، ونبه الحاضرين إلى مواضع الإجادة منها ، إذا ألقوا إليه بسمعهم أنشد المطلع ، وسكت هنيهة كالمأخوذ من جودته ، ثم التفت يمينه ويسرة مستطلعا خبيئة رأيهم فيه ، واستحلفهم بالله وبأنبيائه : هل طرق آذانهم مثله فى عمرهم ؟ وهل تهيأ لشاعر قبله ما تهيأ له من رشاقة المبنى ، وغرابة المعنى ، وتناسب الشطرين ؟ ؟)

والعفة فى لسان أحمد تيمور واضحة فى تراجمه لمن عرفهم من قرب ،

وابتلاهم عن تجربة ، وإذا كنا نعرف أن السخاوى المؤرخ المشهور قد وقع فى بعض أعلام عصره وهو يترجم لهم ، فإن أحمد تيمور كان عفيف اللسان حتى مع الذين لم تسلم سيرهم من عثرات . وتراه فى هذا إنسانا كامل الإنسانية يلتمس الأعذار للناس حين يتزلقون ، وبهذا رزق ـ رحمه الله ـ أسمح ما فى الدنيا من خلق ، على حد قول شاعرنا أحمد شوقى فى نهج البردة :

رزقت أسمح ما فى الناس من خلق إذا رزقت التماس العذر فى الشيم

ما أعف لسان تيمور وهو يتحدث عن الشيخ أحمد الرفاعى أستاذ الشيخ محمد عبده والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد أبى الفضل الجيزاوى قائلا :

(ثم وقعت منه فى آخر أيامه زلة ، قيل إنه تصرف فى وقف بغير وجه شرعى ، ولكن الله لطف به ، فلم يقع له بسبب ذلك غير فصله من المقارىء) أرأيت عبارة أكثر تهذيبا من هذه ، فهو يذكر الحقائق المتصلة بالشخص ولكن فى إنسانية كاملة وفى بعد بعيد عن التشهير والتجريح . وتتجلى إنسانية أحمد تيمور وعفة لسانه وإنصافه فى وزن الرجال وتقديرهم فى قوله فى الترجمة للشيخ حسونه النواوى : (والحقيقة أن الشيخ لم يعهد عليه ما يشين دينه ولا دنياه ، بل عرف بالعفة ، وعلو الهمة ونقاء اليد ، ولولاجفاء كان يبدو بعض الأحيان فى منطقه وشدة فيه يراها بعض الناس غلظة ، ويعدها البعض شهامة ، لحفظ ناموس العلم . خصوصاً مع الكبراء الذين أفسدهم تملق علماء السوء وحملهم على الاستهانة بهذه الطائفة.) ص ١١٨ . وتذكرنا هذه العفة والصقل فى التعبير والتحرز فى ذكر المساوىء بذلك المنهج الذى اتبعه صديقنا العالم الكبير

الأستاذ خير الدين الزركلى فى موسوعته الكبيرة : « الأعلام »

ولم يخرج تيمور باشا فى مقدار الترجمة لكل شخصية على النهج الذى سلكه سابقوه من كتاب التراجم فى الأدب العربى ، فهو تارة يطيل فى الترجمة لواحد من الأعلام ، وطوراً يوجز إلى حد كبير فى الترجمة لآخر . ففى ترجمته للشيخ حسن العطار ـ أستاذ رفاعة الطهطاوى وموجه مصر إلى الأخذ بالعلوم التطبيقية الحديثة قد بلغ ثمانى صفحات ، على حين أن ترجمته للشيخ محمد أبى الفتح لم تبلغ صفحتين ، أما ترجمته للسيد عبد الله النديم فقد بلغت ثلاثا وعشرين صفحة . وكذلك ترجمته للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده . والحق أن شخصية المترجم له والحوادث المحيطة به هى التى تملى على كاتب السيرة المجال الذى يترجم له به .

وعلى الرغم من الدقة التى امتاز بها علامتنا الكبير أحمد تيمور لم يستأثر دائما بكلمة الفصل فى الحقائق التى يذكرها . فقد ذكر ـ مثلا ـ فى صفحة ٤٥ أن الشيخ محمد عياد الطنطاوى الرائد العربى الأول فى روسيا ـ ولد فى طنطا على حين يؤكد لنا المستشرق الكبير : أغناطيوس كراتشكوفسكى أنه ولد فى قرية « نجريد » من أعمال طنطا . وقد اتبع تيمور فى هذا رأى المستشرق الروسى « فالين » مع أن كراتشكوفسكى يؤكد أنه واهم فى هذا (١) . أما وفاة عياد الطنطاوى فهى فى سنة ١٨٦١ م — لا فى سنة ١٨٦٢ كما ذكر وهما فى رأس ترجمته ص ٤٥ .

---

(١) انظر كتاب (حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى) لكراتشكوفسكى وترجمه كلثوم عودة ، بتحقيقاتنا — ص ٢٢ — وهو من مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

أنا واثق أن الشبان سيقرءون كتاب « أعلام الفكر الإسلامى فى العصر الحديث » بشغف ومتعة وفائدة ، لأنهم سيجدون فيه نماذج من العصامية الفكرية والطموح والجهاد فى سبيل الله والعروبة والإسلام . أما الشيوخ فسيجدون فيه صوراً وذكريات من بواكير شبابهم ، بل صوراً وذكريات من تاريخ مصر والبلاد العربية التى كتب الله لها أن تتحرر من أغلال الاستعمار ، وأن تتخلص من أصفاد الجامد من الآراء والأفكار .

والله يوفق لجنة نشر المؤلفات التيمورية إلى إتمام ما اضطلعت به من طبع آثار فقيد العروبة والإسلام أحمد تيمور . .

محمد عبد الغنى حسن

كلمة اللجنـــة

هـذا الكتاب

بقلم الأستاذ محمد شوقي أمين

عضو اللجنة ، ورئيس التحرير فى مجمع اللغة العربية

إنما يعرف الفضل من الناس ذووه !

ومن أجدر أن يعرف للفضلاء من معاصريه حقهم على التاريخ من العلامة الفذ « أحمد تيمور » ؟

وإن العجب لينقضى ـ وإن شئت قلت : لاينقضى ـ من هذا الرجل الذى نذر للبحث والدرس سعيه وهديه ، وقصر عليهما جهده ووكده ، ولكنه لم يجتزىء بميدان من تلك الميادين الرحاب يتخصص له ، ويقف عنده ، بل ضرب فى كل ناحية ، وحلق فى كل أفق ، وألزم نفسه الكشف عن الخبايا والطوايا ، من جليل المسائل ودقيقها ، فى مجالات شتى من علم وأدب ، ومن دين وشريعة ، ومن حضارة وتاريخ .

وما شفاه ولا كفاه أن يرتصد لتراث العرب والإسلام ، يتصيده من كل مكان ، غير ضان عليه بالمال الكثير ، ويجمعه فى خزانة كتبه الخالدة

النادرة ، فأضاف إلى ذلك تقليب العالم اليقظ المتمكن فى هذا التراث ، والاستفادة به فى تحقيق وتمحيص ، وفى تنوير وتبصير ، فكانت مؤلفاته فى قيمتها ، تبارى مقتنياته فى نفاستها .

منذ ربع قرن عنيت الأسرة التيمورية بطبع كتاب له بعنوان «تراجم أعيان القرن الثالث وأوائل القرن الرابع عشر » ، وكان لى شرف الإشراف على إخراجه ، وتذييله ببيان له ، والكتاب يحتوى أربعاً وعشرين ترجمة لأعلام نجلتهم « مصر » أو أظلتهم سماؤها ، وقد وجدت هذه التراجم بخط العلامة « أحمد تيمور » فى دفتر كبير بأن الطول ، ناصل الورق من أثر السنين ، والمكتوب منه نحو خمسه ، والتراجم مسرودة بغير ترتيب ، منها ما هو قصير ، ولا سيما بعض ما جاء فى أخريات الأوراق ، وهذا مع أن المترجم قد يكون ممن تنفسح فيه مذاهب القول . وقد راعى المؤلف ذلك ، فترك مواضع لمن أوجز ترجمتهم ، عسى أن يستلحق مافات ، ويستكمل ما نقص . وواضح أن المؤلف فى هذا الدفتر لم يستوهب أعيان المعاصرين ، ففى هذه الحقبة رجالات ليست شهرتهم فى فروع العلم والأدب أخفى من شهرة الذين ترجم لهم فى تلك الأوراق .

وكان الذى استظهرناه يومئذ فى تأويل ذلك الإيجاز الشديد فى بعض هؤلاء المترجمين ، وقلة عددهم جميعاً ، ما يؤيده عارفو الفقيد من أنه كان ينتوى المضى فى إتمام كتابه على الوجه الشامل ، ثم خشى ألا يستطيع الصراحة

فى ترجمة من كانت له بهم أو مازال لأسرهم به صلات مودة ، فطوى دفتره ، وآثر من الصمت ما هو الأشبه بكرمه وكرامته .

ولما تألفت « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » بعد ذلك ، وأعملت يد التنقيب فيما خلف الفقيد من دفاتر وكراسات وأوراق ، تبين لها أن ذلك الدفتر الذى طبع محتواه من التراجم من قبل ليس إلا جزءا من كل ، فإنها عثرت على تراجم أخرى لنخبة من الأعلام العرب ، فى الشرق الغرب ، من أهل الشام والعراق ، ومن أهل الحجاز وحضرموت ، ومن أقارقة تونس والجزائر والمغرب . وبضم هؤلاء وهؤلاء أصبح عدد المترجَمين مئة إلا أقلها .

بان لنا إذن أن المؤلف كان من همه وعزمه ، أن يجعل كتابه معلما ينتظم أعلام الفكر الإسلامى فى العصر الحديث ، ناظراً إلى الوطن العربى أجمع نظرته إلى وحدة متكاملة ، وأنه شرع فى التقصى والإعداد ، يستكتب ويستخبر ، ويستقى وينتقى ، وكلما اجتمعت له مادة صالحة يحسن الاكتفاء بها فى ترجمة واحد من أولئك الأعلام عمد إلى تحريرها وتدبيجها . وكانت تشغله أشتات الشواغل فى عديد المسائل ، عن التجرد للكتاب ينجزه ، أو كان ينتظر المزيد من التعرف لهذا من المترجمين أو ذاك . .

ومضى — نور الله ضريحه — عن دفتره الأول ، والأوراق التابعة له ، واللاحقة به ، لم تبلغ من نظره مبلغ التمام .

ورأت « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » بين يديها حصيلة وافرة من التراجم ، منها ما فرغ المؤلف من إعداده ، مكتوبا بخطه ، ومنها ما حصله من هنا وهنالك مكتوبا بخط غيره ، وما وافاه به العارفون بالمترجمين من أقربائهم وخاصتهم ، ليستعين به حين يكتب الترجمة فى الصيغة المرتضاة . وما وجدته اللجنة من التراجم يتفاوت بين قليل وكثير ، وبين مافيه غنية وما لا يشفى الغلة . فاستقر الرأى على أن تخرج اللجنة للناس هذا كله ، فإنه مادة تاريخية خليقة أن تسلم من الضياع ، وأن يفيد منها رواد البحث والاطلاع .

وربما لاح لقارىء فى توزيع المترجمين على المواطن العربية المتعددة أن بعضا من أعلام هذا الموطن أولى به أن يذكر فى موطن غيره ، وذلك لتباين الاعتبارات فى تعيين الموطن الذى يعزى إليه : أمسقط رأسه ؟ أم البلد الذى انتمت إليه أصوله؟ أم الأفق الذى تألق فيه نجمه ؟ والحق أن المواطن العربية كانت تتهادى أعلامها ، فكم من حسنة للمشرق فى المغرب ، وكم من حسنة للمغرب فى المشرق ، ولطالما كانت عواصم العربية متنقلا لأعلامها فى أمس الدابر واليوم الحاضر ، وإن ذلك لآية الوحدة الفكرية فى العالم العربى والإسلامى ، حتى ليحار المرء فى تقويم النسبة لبعض المبرزين من المفكرين : أ إلى هذا الموطن يعزوهم أم ذاك ؟

ولا يملك مطالع منصف إلا أن يحمد فى هذا الكتاب لمؤلفه العظيم عاطفته الكريمة لفضلاء معاصريه ، تلك العاطفة التى أملت عليه البر بهم ،

والوفاء لهم ، وتمكين التاريخ من أن يفسح فى صفحاته لحياتهم ، وأن يجلوها لأخلافهم ، وصلا لماضى الأمة بحاضرها ، وتزكية للمثل الكريمة التى ضربها أولئك الأعلام فى مناحى العلم والأدب والدين والإصلاح .

فأما « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » فحسبها أن تطمئن إلى أنها ناهضة بواجبها نحو إحياء التراث التيمورى ، ذلك التراث الذى أعجل الموت صاحبه أن يحقق به إرادته الخيرة النبيلة : إرادة النفع العام للعروبة والإسلام فى مجالات العلم والقومية والتاريخ . .

محمد شوقى أمين